

الفصل الخامس

المنهج الشيوعي

منذ سنوات مكثت بضعة شهور في السودان ، وفي هذه الأثناء في حفل عام . قام أحد الشيوعيين وهاجم رسول الله ﷺ ، في ذاته الشريفة وفي أهل بيته . . . ، وهاج إخواننا السودانيون ، وهاجوا وهم أهل عاطفة دينية طيبة ، وهم أهل خلق كرم وشعور صالح ، وكان رد الفعل قرياً .
وإذا بمنشور شيوعي يوجه إلى الشيوعيين ، ويشاء الله أن يكشف سترهم فيه :

يقول : إن هذا الدور من الهجوم لم يحن أوانه : وذلك أن السودان لم يبعث بعد لمثل هذا الهجوم الذي سيأتي في وقته المناسب ، وأمر المنشور الشيوعيين أن يتعدوا على الهجوم المثير في تلك الفترة إلى أن يبعث الجو .

هناك إذن أدوار ، وهناك إذن تهيئة ، ماهي ؟ وكيف تكون ؟

إن من المعروف عند القاصي والداني ، أن بين الشيوعية والدين عداوة مستحكمة يمثلها مقالته أحد زعمائه :

« الدين أفيون الشعوب » . . .

ويمثله مقالته « كارل ماركس » اليهودي من أنه يجب أن يزول الدين من

المجتمع . فلما قيل له :

ولكن الإنسان لابد له من عقيدة قال :

المهوم بالمسارح فينتجه تفكيرهم نحو نجاح أو إخفاق المسرحية ونحو نجاح فلان في دوره أو إخفاقه فيه أكثروا من المسارح فينصرف الناس عن الدين إليها .

ومثله ماقرأناه أكثر من مرة ، وقد قرأته أنا أكثر من مرة في جرائدنا نقلا عن الجرائد الشيوعية ، من أنها غاضبة لثبوت رجال الحكم في تنفيذ الضربة الأخيرة في القضاء على الدين .

وقضية عداوة الشيوعية للدين قضية لاينكرها إلا مرء أو منافق أو عميل أو جاهل !

وقد أحكم الشيوعيون الخطة : في الدور الأول :

السخرية بعلماء الدين . بل السخرية بكل متدين ، والتهكم بهم ، وإظهارهم في التمثيليات والمسرحيات والإذاعة والتليفزيون والصحافة بمظهر يثير الاستهزاء . . . ونقدمهم ، والإلحاح في تقديمهم ، وتلفيق بهم ، واختراع لهم ، ثم إذاعة ما لفق وإعلان ما افترى حتى يصبح شعور الشعب هيئاً بالنسبة للمتدينين والممثلين للإيمان .

وحينئذ يبدأ الدور الثاني وهو : مهاجمة الدين في فروعه .

حتى إذا ما فرغ هذا الدور ، أصبح المجتمع مستعداً لمهاجمة الدين في أركانه وإعلان الإلحاد سافراً ، وتعليم الإلحاد جهرة ، والدعوة إليه بكل وسيلة !! وكل ذلك بدهى لا يحتاج إلى زيادة إيضاح .

وإذا أخذت رؤساء الحزب ، فلن تجد فيهم إلا ملحدًا .

وإذا أخذت أعضاء الحزب فلن تجد إلا من يدعو إلى الإلحاد .

وإذا وجد فيهم المتدين فهو مأمور بذلك. مسخر في مهمة معينة .
ولكن هذه الأدوار التي ذكرناها : إنما تنشأ وتستمر متوالية على الترتيب
الذي ذكرناه إذا كان المجتمع لم يحدث فيه انقلاب شيوعي .
أما إذا حدث انقلاب شيوعي في قطر من الأقطار ، فإن الأمر يختلف ،
وذلك أنه منذ أول الانقلاب تعلن الحكومة أنها علمانية ، وتحت ستار العلمانية
وفي ظل هذا الشعار تطلق الحكومة معاهد الدين ، وتلغى تدريس الدين في
المدارس ، وتمنع التبشير بالدين ، وتنكل في قوة . وفي عنف بعلماء الدين
وبكل متدين .

وهناك أمثلة لا تنكر في كل قطر حدث فيه انقلاب شيوعي ، فثلا هذه
القطعة من قطر حبيب إلى نفوسنا التي استغلت وأصبحت قطرًا وحدها فيها
انقلاب شيوعي .

لقد لاقى علماء الدين فيها من ألوان العذاب مالا يحصى : حتى أنه كان
يربط أحدهم - وهو في سن متقدمة . تحظى السبعين - في سيارة تجره على
الأرض وتسير به حتى يتمزق جسمه . ويتناثر قطعة قطعة !

ما ذنبه ؟ ما جريمته ؟ إنه يقول : ربى الله ، إنه متدين ، وفي هذه القطعة
من القطر الذي نحبه ، والذي أثنى على إيمانه رسول الله ﷺ ، كان العالم يقتل
ثم يؤمر أتباعه ومحبه - تحت تهديد المدافع الرشاشة - أن يدوسوا على جسده وهو
ميت .

وفي هذه القطعة هتكت أعراض ، وشردت أسرها ، ونكل بكل متدين !
ثم هذا القطر الذي نعز بإسلام شعبه ، وكنا نأمل في مستقبل إسلامه الخير
الكثير ، هذا القطر الذي حدث فيه انقلاب شيوعي ماذا حدث فيه ؟

وبماذا حدثتنا وكالات الأنباء عنه ؟

لقد بدأ فيه مباشرة إعلان العلمانية ، وإلغاء كل ما يمكن أن يكون غير متناسق مع العلمانية ، ونضرب لذلك مثلا :

إن الله سبحانه وتعالى استفاض في بيان الميراث وحدد الأنصبة : بالنصف والثلث ، والرابع ، والسادس ، والثلث . . . إلخ ، وكان التحديد واضحا لا لبس فيه ، واخدد هو الله تعالى .

وكان من أقل درجات الإيمان أن يبين علماء الإسلام حكم الله في الموضوع ، فكتبوا إلى زعيم الانقلاب يبينون حكم الله في الموضوع ، فإذا كان منه ؟

لقد اتخذ بالنسبة لهم موقفاً أفظع ما تكون المواقف . موقفاً تستنكره الإنسانية أشد استنكار ، ويستنكره الدين ، ويستنكره شعور الأمي ، وشعور المتعلم .

لقد قتلهم أشنع قتلة لأنهم بينوا حكم الله .
والواقعة صحيحة تثبت منها - من المصادر الرسمية - قبل أن أخط كلمة فيها .

بماذا يمكن أن يوصف هذا العمل ؟

قتل من بين حكم الله في أمر من الأمور . . . أذلك كفر من القاتل ؟
إني أدع الحكم للقارئ !

أما البانيا :

ألبانيا التي كانت معقلا من معاقل الإسلام ، وخرجت الكثير من علمائه

الأتقياء ، فإن مساجدها خاوية على عروشها ، لقد أغلقت جميعها بالأقفال ،
والغيت معاهدها الدينية ، ومدارسها القرآنية ، وشرد الأتقياء فيها ، وكل
متدين كان نصيبه إما القتل ، وإما التشريد ، وإما السجن ، وإما الفرار !
والمساجد في روسيا كثير منها أصبح هياكل ومناحف ، وبقى منها مايكفي ذرًا
للرماد في العيون .

هذه هي الشيوعية : أهي على هذا الوضع إسلام ؟

أهي نصير للإسلام ؟

أم هي محطمة للتدين ؟

ومناصرها : أهو محب للإسلام ؟

أهو من المتقين ؟

أهو من المؤمنين ؟

أم هو من أعداء الله ورسوله ، إذ ينصرهم ويؤازرهم .

إن الله سبحانه يحب عن ذلك فيقول سبحانه :

(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ

عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ

وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ) .

ولكننا لم نتحدث بعد عن الحرية المفقودة ، والمساواة المعدومة ،
والدكتاتورية الطاغية ، والفسح ، والحداع ، والرعب .

ولكن الذى ذكرناه إنما كان منهجاً بالنسبة للدين ، وللشيوعية مناهج
متنوعة مختلفة بالنسبة لمختلف الحالات ، وإن فيها منهجاً في إثارة القلاقل
والاضطرابات ، من ذلك ما ذكره صاحب كتاب « الشيوعية على حقيقتها »
يقول :

« وجه لينين نظر العصبية إلى ضرورة الاتصال بالعمال اتصالاً عملياً ،
وإعطاء حركتهم نزعة سياسية ، وعلمها كيف تغتصم الفرص لإلقاء ضرباتها ،
فكانت كلما قام إضراب في مصنع من المصانع ، تبادر إلى إصدار النشرات
الاشتراكية لاستفزاز العمال ، وإيقار صدورهم على أصحاب الأموال وعلى
الحكومة ، بحجة أنها تحمل هذا الاستغلال ، وكانت النشرات توزع في المصنع
المضرب ، وفي غيره من المصانع في وقت واحد ليكون للتحرير الأثر
المطلوب .

ومن ذلك ما رسمه كاتب عن الخطة الشيوعية ، يقول :

« ولينفذ الشيوعيون الخطة الشيوعية التي تقضى بالتسلل إلى مختلف الطوائف
والهيئات بالطرق الآتية :

١ - التسلل إلى الاتحادات والنقابات المهنية والعمل على السيطرة عليها ، ثم
توجيهها توجيهاً يلائم أغراض الشيوعية العالمية .

٢ - التغلغل في منظمات الطلبة والعمل على تزعم تكتلاتهم ، واستدراج
أكبر عدد منهم للإيمان بالشيوعية كوسيلة للإصلاح .

٣ - تكوين جبهات مع الهيئات المعارضة للحكومة يكون لها برنامج متفق عليه ، وهدفها القضاء على نظام الحكم .

اصطلاحاتهم :

ومما يتصل بالمنهج أنهم يصطنعون صيغاً ويخترعون مصطلحات تشبه الواقع ، وتعوه الحقائق ، وتخدع الذين يقعون في حبالهم ، وقد تنبه الكتاب الشرقيون والغربيون لذلك ونهوا عليه ، فقالوا عن الشيوعيين :

إنهم يسمون ديكتاتورية الحزب الشيوعي الإرهابية « ديكتاتورية العمال الديمقراطية » .

ومصادرة أملاك المزارعين واستصفاء أموالهم بالإرهاب والإجاعة « التنازل الاختياري عن الممتلكات للدولة » .

ويطلقون على التفاوت الصارخ لمستوى الحياة وأحوال المعيشة في داخل الجمهورية السوفيتية « انتصار الواقعية الاشتراكية » .

ويسمون قتل من يشبهون في ولائهم ويشكون في إخلاصهم « القضاء على أنصار الاستعمار القاشي » .

ويسمون الأكاذيب التي يخترعونها ويذيعونها ، وحضهم العمال في البلاد الديمقراطية على إفساد الآلات والتخريب والهدم وبث الرعب في كل مكان « دفاع البروليتاريا عن أنفسهم ضد أعدائهم » .

ويسمون البؤس والشقاء والحرمان الذي يقاسيه الشعب الروسي « اللجنة التي ينعم فيها الشعب في أرض الاشتراكية » !!

يقول « سيودي جويو » :

« لقد نسج الشيوعيون نظرية في السرقة سموها : تعويض المحرومين » ..

ويقول الأستاذ مظهر :

لقد سمو السرقة تعويضاً للمحرومين .

وسمووا المعدم محروماً .

وسمووا الإمعة مغبوناً .

وسمووا الفاشل مظلوماً .

وسمووا الأخرق البليد عبداً مأجوراً .

وسمووا العاجز مستغلاً .

وسمووا المتعطل خالقاً للثروة ومنشئاً للقيم الاقتصادية .

وسمووا الدهماوين شعباً .

وسمووا الثوريين المتطرفين طلاب الهدم والتخريب ، وإراقة الدماء الذائدين

عن حقوق الإنسان .

ويعقب الأستاذ مظهر على ذلك فيقول :

« كل هذه استنارة للأحقاد ، ووضع لمعانى الألفاظ في غير موضعها تضليلاً

للناس وخلق تعريفات جديدة للكلمات توافق المزاج الشيوعي » .